

حضور الذاكرة والهوية الوطنية وتمثلاتهما في رواية الزمن الصعب لعبد القادر عميش

The presence of memory and national identity and their representations in the novel The Difficult Time by Abdelkader Amiche

أ. د براهيمى فطيمة* - fatima.brahmi

جامعة سيدي بلعباس (الجزائر)

fatima.brahmi@univ-sba.dz

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/09

تاريخ الاستلام: 2026/02/12

ملخص:

شكلت الثورة التحريرية الجزائرية علامة في فارقة في التاريخ العربي والعالمي، فهي هوية الشعب وكيانته، واكتسبت تميزا و حضورا في مختلف المدونات الإبداعية، حضرت في الشعر، القصة، الرواية، المسرح، السينما وغيرها. فتنافس المبدعين على التأثيث لهذا الحدث الذي يبقى راسخا و مترسقا في كتاباتهم. حظي الأدب الجزائري المعاصر باهتمام مختلف النظير لها، فذهب الروائي عبد القادر عميش إلى تدبيح الثورة الجزائرية، وسردها في قالب قصصي مثير، فقد عايش الثورة الجزائرية بقلبه، وعرف قسوتها من خلال أحداثها، والشخصيات التي جسدها في روايته.

تروم هذه الورقة البحثية في إشكالية تتعلق بالثورة الجزائرية، كيف تبلورت المقاومة في الأدب الجزائري؟ كيف تم استحضار الذاكرة الوطنية في رواية عبد القادر عميش على وجه الخصوص الزمن الصعب؟ وكيف لعب البناء السردى دورا في تشكيل الهوية وإحياء الذاكرة الوطنية؟ سيتم الاعتماد على بعض الآليات في تحليل هذه المدونة الروائية.

هذه الإشكاليات و غيرها سيتم معالجتها من خلال هذه الموضوع.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة؛ الهوية الوطنية؛ تمثلاتها؛ الرواية الجزائرية؛ البناء السردى؛ الزمن الصعب؛ عبد القادر عميش.

Abstract:

The Algerian liberation revolution marked a milestone in Arab and world history, as it is the identity and being of the people, and gained distinction and presence in various creative blogs, present in poetry, stories, novels, theater, cinema, and others. Creative people competed to furnish this event, which remains firmly rooted in their writing. Contemporary Algerian literature has received the attention of its various counterparts, so the novelist Abdelkader AmiChe went to style the Algerian revolution and narrate it in an exciting narrative form. He

lived the Algerian revolution with his heart, and knew its cruelty through its events and the characters he embodied in his novel.

This research paper aims to address a problem related to the Algerian revolution: How did resistance crystallize in Algerian literature? How was national memory evoked in Abdelkader Amiche novel, in particular, The Difficult Time? How did narrative construction play a role in shaping identity and reviving national memory? Some mechanisms will be relied upon in this analyzing the novel blog.

These and other problems will be addressed through this topic.

Keywords:Memory; national identity; its representations; the Algerian novel; narrative structure; difficult times; Abdelkader Amiche.

مقدمة:

تحمل روايات الألفية الجديدة طرحة يظل قريبا من الوطن، ويلازمه، ومن الذات وسؤال الهوية، فقد شهدت الساحة الأدبية في الجزائر عددا من الروايات التي كانت الثورة الجزائرية أبرز موضوعاتها، وشكلت في أحيان كثيرة مرجعية للخطاب الروائي الجزائري والعربي، وحتى العالمي. رواية الزمن الصعب هي رواية ثورة التحرير الجزائرية وزمنها الصعب الاستعماري الفرنسي، وهي أيضا سيرة عائلة الروائي "عبد القادر عميش" وما عانته من فاقة وقهر في تلك الحقبة الاستعمارية.

تروم هذه الورقة البحثية في إشكالية تتعلق بالثورة الجزائرية، كيف تبلورت المقاومة في الأدب الجزائري؟ كيف تم استحضار الذاكرة الوطنية في رواية عبد القادر عميش على وجه الخصوص الزمن الصعب؟ وكيف لعب البناء السرد دورا في تشكيل الهوية وإحياء الذاكرة الوطنية؟ سيتم الاعتماد على بعض الآليات في تحليل هذه المدونة الروائية.

هذه الإشكاليات وغيرها سيتم معالجتها من خلال هذه الموضوع.

1. الوعي التاريخي في الرواية الجزائرية:

لم تكن الثورة الجزائرية مجرد رد فعل على الاحتلال الفرنسي، بل كانت تعبيراً عن موقف تاريخي في بنية الصراع القائم مع الإمبريالية الفرنسية. إن طبيعة الوعي هو الذي يُنتج الفعل المقاوم؛ أي في موقعه من البنية الاجتماعية والسياسية فإنها تنطلق من رؤية ترى الصراع بوصفه حقا مشروعاً مواجهة مع المحتل الفرنسي. في المقابل تبرز المقاومة والمواجهة بوصفها نمطاً آخر من الوعي المقاوم، يتحرك داخل حدود البنية القائمة لا خارجها. فهي تقاوم العدو الخارجي من موقع الانتماء الأيديولوجي الديني الثقافي، لا من موقع الصراع التاريخي. ومنه المواجهة هنا تأخذ شكلاً دفاعياً أكثر من كونها فعلاً تحريراً جذرياً.

يظل الوعي البشري هو مركز ومنطلق التساؤل والإجابة معا: «عن مجمل حياة الإنسان مثلما يظل هو ذاته الوسيلة التي تعبر عن حالات الصراع والتناقض الدائر بين الناس، وتتموضع في رؤى وأفكار. . . للتعبير عن مصالح هذا الفرد أو ذاك، أو هذه الطبقة أو تلك، أو هذه الطائفة أو تلك، أو هذه الطبقة أو تلك، أو هذه الأمة أو تلك»⁽¹⁾.

الوقوف على حيثيات الذاكرة الوطنية تنطلق من رؤية رصينة تتبناها الأعمال الإبداعية على اختلافها قائمة على المزاوجة بين قدسية التاريخ ومسؤولية بناء وعي وطني يخدم الحاضر و يستشرف المستقبل. يشكل موضوع الوطن في الآداب العالمية عموما و الجزائرية خصوصا، وفي النصوص الروائية تحديدا من أبرز السمات التي يتسم بها أي روائي اتجاه وطنه، فقد تغنى به الكثير في حال الثورة والاستقلال، ومن الروائيين الذين اهتموا به وبتوظيف تيمي الوطن والثورة في الرواية "عبد القادر عميش" في أحد أعماله "الزمن الصعب".

اكتسب المبدع من الوجهة التاريخية: «خبرات وثقافات تأصلت في نصه سواء استمد ذلك بوعي أم بغير وعي؛ مما يعزز لدينا فكرة أن المنشئ أيا كان ترتيبه الزمني إنما هو حلقة في سلسلة حلقات سابقة ولاحقة ولم يمت البتة؛ فهو لم ينطلق من فراغ، متشعب بنصوص كثيرة سابقة له، بمعنى أنه ليس حرا في إبداعه النتاجي، ولكنه في الوقت نفسه ليس منعزلا عنه»⁽²⁾. يشكل الوعي في التحرر مسارا تاريخيا لإعادة إنتاج الإنسان والعالم على أسس جديدة، ووعي يرى التحرر خلاصا مطلوباً من العدو الخارجي. إن التحرر لا يكون من الخارج إلا بقدر ما يكون من الداخل؛ فمن لم يحرر وعيه من التبعية، لن يحرر أرضه من الاحتلال.

الذاكرة أساس من الأسس المهمة التي يبنى عليها البناء السردى، إذ لم يعد السرد مجرد نقل للأحداث أو تمثيل للواقع الخارجي، بل أصبح فضاء لاستعادة التجربة الإنسانية وإعادة تشكيلها عبر آليات التذكر والنسيان والاسترجاع. ومن هنا ارتبطت الكتابة السردية الحديثة بالوعي الزمني وبالذات المتأمل التي تستعيد الماضي لتفهم الحاضر أو تعيد تأويله. فالذاكرة ليست خزاناً جامداً للوقائع، بل هي فعلٌ تأويلي يساهم في إنتاج المعنى وبناء الهوية الفردية والجماعية داخل النص الأدبي.

إذ لا توجد شعوب بلا تاريخ: «هذا التصور الإختزالي يعني بكل بساطة أن تاريخ هذه الشعوب إن كان مجهولا فلا يعني أنه غير موجود منذ عشرات بل مئات السنين وجد هنا كبشر أحبوا وكرهوا وتألموا واخترعوا وحاربوا»⁽³⁾. وحين نتأمل ثورة الجزائرية، نطرح العديد من الأسئلة نسأل: من أين جاء هذا القدر العجيب في التضحية والجهاد؟ وكيف تحوّل العمل الثوري عند الثوار الجزائريين إلى قيمة أخلاقية صارمة.

للإجابة عنها جعلنا نعود إلى الذاكرة العميقة للشعب الجزائري؛ إلى القصص التي صنعت وجدانه، وغرست فيه معاني الشرف، والوفاء، وتقديم الواجب على الراحة الشخصية. وهنا تكمن المفارقة العميقة لقد فعلوا ما اعتبروه واجبا أخلاقيا تجاه وطنهم.

2. الذاكرة والوطن:

الذاكرة أساس من الأسس المهمة التي يبنى عليها البناء السردى، إذ لم يعد السرد مجرد نقل للأحداث أو تمثيل للواقع الخارجى، بل أصبح فضاءً لاستعادة التجربة الإنسانية وإعادة تشكيلها عبر آليات التذكر والنسيان والاسترجاع. ومن هنا ارتبطت الكتابة السردية الحديثة بالوعي الزمنى وبالذات المتأمللة التي تستعيد الماضى لتفهم الحاضر أو تعيد تأويله. فالذاكرة ليست خزاناً جامداً للوقائع، بل هي فعلٌ تأويلي يساهم في إنتاج المعنى وبناء الهوية الفردية والجماعية داخل النص الأدبي.

الذاكرة الوطنية هي شكل من أشكال الذاكرة الجماعية التي تحددها الخبرات والثقافة المشتركة. إنه جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية إنه يمثل شكلاً محدداً من أشكال الذاكرة الثقافية، مما يساهم بشكل أساسي في تماسك المجموعة الوطنية تاريخياً، اعتمدت المجتمعات الوطنية على الاحتفالات التذكارية والآثار، والطقوس والأفراد والأشياء والأحداث المجيدة في تاريخهم لإنتاج سرد مشترك. تستند الذاكرة الوطنية إلى استقبال الجمهور للروايات التاريخية الوطنية وقدرة الناس على تأكيد شرعية هذه الروايات.

الذاكرة هي التي تبنى الأمم، وترسم ملامح الشعوب وشخصيتها، وحين تتأمل ثورة الجزائرية، نطرح العديد من الأسئلة نسأل: من أين جاء هذا القدر العجيب في التضحية والجهد؟ وكيف تحوّل العمل الثوري عند الثوار الجزائريين إلى قيمة أخلاقية صارمة.

للإجابة عنها جعلنا نعود إلى الذاكرة العميقة للشعب الجزائري؛ إلى القصص التي صنعت وجدانه، وغرست فيه معاني الشرف، والوفاء، وتقديم الواجب على الراحة الشخصية. وهنا تكمن المفارقة العميقة لقد فعلوا ما اعتبروه واجباً أخلاقياً تجاه وطنهم.

تقوم الكتابة السردية في كثير من تجلياتها على استحضار الماضي، والحكاية عنه وعن مجموعة من الأحداث: «أو الوقائع التي تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة والفعل الإبداعي ومنه الأدب خاصة»⁽⁴⁾. سواء عبر الاسترجاع الزمنى أو التداعي الحر أو المونولوج الداخلى. ولهذا تُعدّ الذاكرة عنصراً بنائياً يُسهم في تشكيل الحبكة وتوزيع الأحداث داخل النص. فالسارد لا يروي الوقائع كما حدثت بالضرورة، وإنما كما تبدّى في وعيه أثناء التذكر، الأمر الذي يجعل الزمن السردى زمناً نفسياً أكثر منه زمناً خطياً.

أسهمت الرواية الحديثة المعاصرة في تكريس هذا التحول؛ إذ أصبحت الذاكرة وسيلة للكشف عن أعماق الشخصية، وعن علاقتها بالمكان، والهوية والهزيمة والمنفى. وبهذا المعنى تتحول الكتابة السردية إلى محاولة لاستعادة ما ضاع أو لم يكتمل في التجربة الإنسانية.

3. تمثلات الثورة في الرواية الجزائرية:

يمثل اهتمام الرواية المعاصرة بثورة التحريرية جانباً من الجوانب المهمة في العودة إلى الثورة، وشخصياتها وتفاصيلها، وأزميتها، وأمكنتها، ومحاولة صياغتها صياغة سردية تجمع العناصر معاً في مجموع يمثل شكلاً من أشكال الديمومة، ومعانيها المتجددة، وبهذا الطرح: «منحت الثورة حالة جمالية للرواية الجزائرية، أنتجت ثقافة بأكملها تجلت فيها الثورة من خلال رموز وعلامات دالة»⁽⁵⁾. غير أن هذا التزاوج بين التاريخ والرواية: «... على مستوى الشكل أو الوظيفة، فهما يشتركان في شكل السرد أولاً، وفي العمق الزمني للتجربة البشرية ثانياً»⁽⁶⁾. تمثل الثورة التحريرية الجزائرية نموذجاً تاريخياً، وشاهدًا حيًا على تجربة من تجارب النضالات والمقاومات الشعبية، هي السردية الكبرى للجزائر الحديثة والمعاصرة والممتدة عبر الأجيال، وهي الحدث المركزي الذي لا يكاد يغيب عن الرواية الجزائرية، إلى جانب روايات عربية وعالمية كثيرة، تناولت هذه التجربة الطويلة المريرة في مواجهة القوة الفرنسية الاستعمارية الظالمة.

والذي: «لا اختلاف في العالم بأسره في أنّ الثورة التحريرية الجزائرية واحدة من أهم ثورات التحرير التي خاضها الإنسان عبر التاريخ ضدّ الظلم والقهر والاستعمار، ولذلك فإنّ كلّ الشعوب قد حاولت الإستلها من هذه الطفرة التاريخية التي ترجمت رغبة الإنسان في الإنعتاق من كلّ ظلم، كما كانت ولا تزال الثورة الجزائرية ملهمة لكلّ الأدباء العرب والغرب فضلاً عن كونها المنهل الأساس الذي نهل منه كلّ الآداب الجزائرية شعراً ونثراً ومسرحاً»⁽⁷⁾. ومنه تبقى الثورة الجزائرية غضة فتية بمخزونها الثوري والتحرري صالحة في كل زمان ومكان لأن يتوج بها وتحتفى بها المتون الإبداعية والأدبية. تحمل روايات الألفية الجديدة طرحاً يظل قريباً من الوطن، ويلاصقه، ومن الذات وسؤال الهوية، فقد شهدت الساحة الأدبية في الجزائر عدداً من الروايات التي كانت الثورة الجزائرية أبرز موضوعاتها، وشكلت في أحيان كثيرة مرجعية للخطاب الروائي الجزائري والعربي، وحتى العالمي. ورواية (الزمن الصعب)، هي رواية ثورة التحرير الجزائرية وزمنها الصعب المتعلق بالاستعمار الفرنسي، وهي أيضاً سيرة عائلة الروائي "عبد القادر عميش" وما عاشته من فقر وحرمان أثناء الفترة الاستعمارية.

تحتوي الرواية على مختلف أنواع الكتابة الأخرى المتصلة بالثورة، ومقاومة الاستعمار، من الشعر والمسرح والقصة القصيرة، الفنون التشكيلية، والأنواع السيرية والتوثيقية، كما في أدب المذكرات واليوميات لبعض قادة الثورة وشهوده: «ومن أبرز الطرق التي يلجأ إليها الروائيون للتغلب من نمطية السرد التاريخي قراءة الأحداث من خلال انعكاساتها على الناس الذين عاشوا تلك الفترة»⁽⁸⁾. مثلما وقف عليها المثقفون والمفكرون، سيقف عليها المبدعون على اختلاف مشاربهم، همهم محاكاة الثورة وتمثلها في المدونات والمتون، والاحتفاء.

تشكل الثورة التحريرية في الأدب وعلى وجه الخصوص في الرواية: «سند تاريخي ومدونة تسجيل لأحداث وتوظيف لوقائع، وهي في مقام آخر مصدر إلهام لنصوص روائية مميزة أرخت لهذه الثورة ورسمت قيمًا جمالية ومضامين فنية كانت نموذجًا للكتابة الروائية في الجزائر»⁽⁹⁾. وكذلك محاولات بعض الكتاب الإفادة من التاريخ الثوري، ومن الشهادات

الحية التي تذكر أن الثورة استمرت لـ: «تُلقي بظلالها على الكتابة الأدبية بمختلف أنواعها، وهذا طبيعي، لأنها كانت صرخة مدوية في العالم، ومؤثرة في حركات التحرر. لذلك نادراً ما نجد نصّاً يخلو من ملامحها»⁽¹⁰⁾. لم يتوقف الاهتمام بالثورة الجزائرية، بل تعداه إلى السينما، والمسرح، النحت، الفنون التشكيلية، وإمكانية توظيف الأرشيف، الوثائق والشهادات في الابداع ومتونه وأجناسه المتعددة.

علاقة الرواية بالتاريخ علاقة متجاوزة ومتحاورة معها، ذلك أن: «الثورة كملحمة، فتجاوزوه؛ كون علاقة الرواية بالتاريخ علاقة إشكالية، تحددها صيرورة الزمن الحاضر، وما تطرحه هذه العلاقة من إشكالات، تعبّر عن وعي الراهن بالتاريخ، وموقفه منه سلبي وإيجاباً»⁽¹¹⁾. هذه العلاقة الثنائية متجذرة، وعلى وجه التحديد الثورة الجزائرية، وبالتالي لا تنفك الأعمال الروائية إلا أن تقف عندها وتحاكيها، وتحاول تعرية الوجه الحقيقي لفرنسا الغاشمة.

سنتناول نموذجاً ممثلاً في رواية (الزمن الصعب) لـ: "عبد القادر عميش"، التي نشرت عام 2020م، عن دار خيال بروج بوعريج، من الحجم المتوسط، تقع في 152 صفحة في طباعة متميزة. واتسمت بعدة ميزات فنية ومضمونية تجعل منها علامة أساسية في تناول ثورة التحرر وفي تجسيد التاريخ الجزائري الحديث قبل الاستقلال وبعده وصولاً إلى العقد الأول من الألفية الجديدة.

الرواية وإن كانت تتحدث عن واقع تاريخي مرير أثناء الثورة عاشه الروائي وهو صبي مع عائلته في ولاية (الشلف) في رحلة مأساوية من منطقة مسقط رأسه إلى مركز احتشاد بمحاذاة (تاوقريت) بنفس الولاية، ذقت الأسرة مع غيرها من الأسر الجزائرية النازحة كل ألوان التعذيب والتقتيل، مما اضطرها إلى النزوح إلى أعالي الجبال، وعاشت حياة قاسية من فقر، ومرض، وانعدمت فيها الحياة.

يتجلى الصوت الرئيسي (الراوي) في الرواية هو (الروائي)، التي ضحت أسرته بأخيه الكبير "حساين" شهيداً للوطن، فقد عاش كأبي طفل جزائري كل تلك المآسي رفقة إخوته، وأخواته الصغار مع والدتهم التي احتضنتهم، إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر¹². سرّد الراوي الأحداث بصورة مروعة ما عاشه الشعب الجزائري ممثلة في أخيه "حساين"، وارتسمت في ذهنه كل تفاصيلها، فكانت رواية (الزمن الصعب) التي ربما البعض يتصور أنها نصّ تاريخي؛ بل هي نصّ روائي مدون بلغة راقية، وأسلوب مختلف النظير يجذب القارئ إلى النصّ من الوهلة الأولى، ويتابع تسلسل الأحداث، بمآسيها، ومعاناة شخصوها، الأحداث التاريخية في الرواية جمعت بين الواقع والمتخيل.

إذا تحدثنا عن النصّ الروائي لـ: "عبد القادر عميش" نجده يقف على عدة تناقضات في سير وسير أغوار أحداث الرواية المتشعبة أحياناً، ففي هذا النصّ نلقي شخصية المرأة "بقليّة" وهي تنبه خالتي "خيرة" بالابتعاد عن: «الفلاحة أنت الآن عندي ولا شأن لك بالثورة لا تعرضني لغضب القبطان إنه لا يرحم أبداً»⁽¹³⁾. تشاركت الخالة (خيرة) القربي مع

السيدة (بقليّة)، وطلبت منها أن لا تتعامل مع أي شخص من الفلاقة أو العسكر، لأن الحركي يحومون في كل الأمكنة، وإذا وصل الخبر إلى فرنسا فإنك لن تسلمي من تعذيبهم وبطشهم الذي يصل حد الموت.

عاشت الحالة (خيرة) في مكان هادئ، بعدها غادرت إلى الجبل المحاط بالغابات لتقيم في قري مع حماها وزوجته وأولاده، تبدأ الأمور تتغير مع الدوريات التي يقوم بها العسكر، تسرد ذلك: «فتحنا أعيننا في الغد لنرى علما غربيا عنا لم نألفه بعد، عسكر بحجم النمل الأحمر، جنود كالودود وفي كل مكان يتمركزون، بين القرابي* وعلى المنحدرات والدروب المؤدية إلى الزمالة وهم يلغطون ويقهقهون بشبقية في دواخلنا بدأت غريزة الخوف المجهول تنمو بشكل لولي عبر الأحشاء صكت والدي صدرها وهي نزقت حشود العسكر من خلال فرجة الباب الكبير»⁽¹⁴⁾. تلك الحشود لم تقترب من البيوت والأهالي، بل تقوم بدورات في كل المكان، لأن همها كان البحث عن المجاهدين والفلاقة.

4. الهوية الوطنية :

تذهب رواية الألفية الجديدة لمساءلة التاريخ وإعادة تشكيله وتأثيره من جديد، وفق مخيلة روائية معينة تسعى إلى سد الفراغات وترتيب الأحداث، وإلى جانب تطمح الأعمال الروائية إلى تبني التاريخ و إعادة إحيائه مع ما يحمله من حمولة معرفية، تاريخية، اجتماعية، سياسية، دينية وغيرها؛ أي أن الأحداث والشخصيات الموظفة في الرواية يمنحها سمة الراهنية والحضور المتجدد.

تمثل الثورة التحريرية الجزائرية المظفرة نموذجاً من النماذج التاريخية الاستثنائية، كما أنها أحد التجارب النادرة للمقاومات الشعبية التي خاضتها الجزائر لوحدها ضد الاحتلال الفرنسي الظالم، ولا تزال الثورة اليوم درسا مؤثرا في كل الأجيال العربية، وحتى العالمية، معنا لا ينضب للإلهام والإبداع لمختلف الأجناس الأدبية .

يمثل الطرح الروائي الجزائري: «الأبرز في التعبير عن حالة الوطن الراهنة والاقتراب من الذات العربية، والوقوف على سؤال الهوية المؤرق وهي أسئلة مكرورة منذ مطلع النهضة العربية الحديثة»⁽¹⁵⁾ سؤال الهوية طرح وتكرر طيلة صفحات رواية (الزمن الصعب) تعبيرا عن أزمة الذات والوطن، وكان هذا السؤال في مواضع عدة تتصل بشخصية السارد في فترات طفولته في القرية .

5. استدعاء الذاكرة الوطنية في الرواية:

يمكن أن نعدّ هذه الرواية من روايات الذاكرة والهوية، بما فيها من استناد على التاريخ كمرجع ثقافي جامع، وليس كمستودع أحداث، ذلك أن كثافة الحدث وقوته ودراميته تتأني من دلالتة ومن طريقة سرده وتقديمه: «في ذلك الصباح الباكر الخريفي، كنا قد هيأنا أنفسنا وأعددنا العدة رتبنا بعض الأثاث القديم اللازم للإقامة هناك، كان يتمثل في بعض الأغطية البالية ؛ قرية، وبعض الأواني الحقيقية، جمعت داخل قفة مصنوعة الدوم المضفور»⁽¹⁶⁾.

يذكر الراوي بأن الأم كانت: «تتحدث إلى عمي الحاج وزوجته عن مشاق الرحلة وعن الصعاب التي واجهتنا على طول الطريق وعن أخي حساين وباقي المجاهدين في الجبال البعيدة، كما كانت ترد على بعض الأسئلة المتعلقة بالأقارب الذين لا يزالون في الريف، والذين ينوون اللحاق بنا عن قريب وعندما تصل عند بعض الأسماء التي لم أعرف أصحابها والذين قتلوا بعد تعذيبهم فتمهل في حديثها وهي تبكي كعادتها في مثل هذه المواقف تحاول جاهدة أن تجسد لهم المشهد الفضيع وكيف كان يصرخ ويشتم فرنسا ثم يروح يقرأ الشهادة حتى آخر نفس فيه»⁽¹⁷⁾. يشعر الابن بمدى تعب أمه والشقاء الذي لحقهم جراء انتقامهم إلى الإقامة عند عمهم، لو الخناق الذي الذي حاصرهم به الاستعمار الفرنسي لما غادروا منزلهم.

تمثل الذاكرة الجمعية للثورة الجزائرية مصدراً أساسياً للرواية الجزائرية المعاصرة، حيث تتيح للروائيين استكشاف تاريخ الثورة وإعادة قراءته بصرياً، وتوظف الذاكرة في خدمة قضايا الهوية والمسؤولية والمقاومة. تتعامل الرواية المعاصرة مع الذاكرة بطرق مختلفة؛ فبينما تركز بعض الأعمال على الجوانب الملحمية والوطنية، تتناول أخرى المسكوت عنه وتوظف التحليل النفسي لاستعادة الأحداث وتفكيكها. كما تطرح قضايا مثل العلاقة بين الأجيال وتأثير الثورة على الحاضر، وتهدف إلى بناء تاريخ مضاد ومراجعة الرواية التاريخية الرسمية.

: «والذي زاد من قلق والدتي وخوفها هو أن لها ابناً مجاهداً يكبر الله فوق قمم جبال الحفصى ويمارس تفجير البارود، فقط عليها أن تتصرف بكل هدوء وحكمة وإلا عرضت نفسها للتعذيب البشع أو حتى الهلاك ولهذا راحت تفكر بعمق وشريط وصايا حساين يتوغل عبر خلايا عقلها المشتعل وأحياناً تناقش بعضها مع عمي الحاج وهو يتظاهر بمعارضة خروجنا من القري»⁽¹⁸⁾.

ظلت ثورة التحرير الجزائرية حاضرة بقوة في الرواية الجزائرية كنشيد يُحتفى ببطولاتها وأمجادها وتاريخها، واستمر تأثير الثورة على الكتابة الأدبية لمدة طويلة وكان هذا طبيعياً لأنها مثلت صرخة مدوية في وجه العالم؛ ولذا نادراً ما نجد نصاً أدبياً يخلو من ملامحها. رواية (الزمن الصعب) تندرج ضمن هذا السرد الروائي الثوري؛ فالأدب ينقل التجربة الإنسانية من مستوى الحدث العادي إلى المُتخيل، والمسافة الفاصلة بين الواقع، والخيال هي بالضبط التي تمنح لهذه التجربة مغزاهاً، وتجردها من الزمان والمكان لتسميها بالخلود، وتُصيغ عليها طابع الأنسنة.

خرج الأطفال خارج القري فقد لحوا فتاتين وهن يلعبن ما شد انتباههم فساتين جميلة وتنتعلان بوطا مطاطيا وليسوا مثل بقية الأطفال: «ومن تحت قدمي تمتصان برودة الأرض وقد تبيس الدم بين الشقوق عن الحفي، وفي ذلك الوقت، فقد أدركت أنني لم أنتعل أي نعل أبداً، وبررت حيرتي تلك بأن الانتعال مقتصر على أهل المدن فقط وأن أهل الريف في غنى عن ذلك وبدأت أشعر بالارتياح والاطمئنان حين تذكرت أن إخوتي هم لم ينتعلوا على الإطلاق»⁽¹⁹⁾.

أصاب الأطفال الدهشة بعد رؤيتهم مشاهد لم يتعودوا عليها في قريتهم جموع العساكر: «فتحنا أعيننا في الغد لنرى عالما غريبا عنا لم نألفه بعد، عسكر بحجم النمل الأحمر، جنود كالدود في كل مكان يتمركزون بين القرابي وعلى المنحدرات والدروب المؤدية إلى الزمالة وهم يلغطون ويقهقهون بشبقية في دواخلنا بدأت غريزة الخوف المجبول تنمو بشكل لولي عبر الأحشاء صكت والديتي صدرها وهي ترقب حشود العسكر من خلال فرجة الباب الكبير» (20).

تحفل الرواية بالأغاني والأهازيج، وذلك تعبيرا عن الفرحة العارمة بالنصر والاستقلال: «عن قريب ترفع راية الاستقلال وفرنسا سترحل قريبا» (21). بعد محطات من الجهاد والمعاناة اعترت أرواح الناس، والشعب الجزائري عموما أفراح وسعادة ما بعدها سعادة وتوجيه عبارات إلى مجرم الحرب مرددين: «ديغول ديغول، واش حببت تقول خلي سيدك يحظر في الجمعية» (22). وتتواصل الأفراح بعد قهر وصبر مرددا في نص آخر: «يا لها من نشوة بل يا لها من فرحة ورد بصوت متيس مندرس بين الجموع إنها نشوة الاستقلال» (23). بعد معاناة مريرة، وجهاد مستميت تحصد الجزائر نصرها واستقلالها رغم أنف فرنسا التي حاولت الاستيلاء عليها بطريقة غير شرعية، هزيمة شنعاء لاحقت فرنسا، وستظل تلاحقها إل الأبد.

6. خاتمة:

يمكن القول أن روايات المبدع "عبد القادر عميش"، وتحديدًا رواية (الزمن الصعب)، تحاور هموم وطنه الجزائر من استعمار، وأزمات عصفت به يمينا وشمالا، معتمدا على لغة سردية خاصة. كما أن عمله الروائي يمثل تجربة إنسانية حاول من خلالها إظهار صورة الجزائر وهي في عز صمودها ومحاربتها للاحتلال الفرنسي، ومقاومة كل أنواع التعذيب والظلم. انطلق في تصوير معاناة وطنه المسلوب الحق عبر لغة شعرية إلى مشهد صُوِّرت فيه استباحة الوطن، وانتهاك الأعراض، ونهب الخيرات، إنها باختصار روائية الأدب الراقي، نابضة بالتفاصيل التي تربطها بالوطن وبساطة الناس وعفويتهم، والأمل في غد مشرق، هذه الرواية في محاورتها للتاريخ ومحاكاته تحاول إثارة الحاضر بعودة إلى الماضي.

7. الهوامش:

- 1 - عدنان عويد، الإيديولوجيا والوعي المطابق، (دراسات فكرية)، التلويح للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2016م، ص08.
- 2 - إبراهيم السمري، اتجاهات النقد الأدبي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ-2011م، ص372.
- 3 - واسيني الأعرج، الرواية التاريخية، أبحاث ندوة، مجموعة باحثين، دراسات ثقافية سلسلة فصلية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، مطابع دار الشروق، قطر، مارس 2005م، ص15.

- 4 - عزيز شكري ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص145.
- 5 - آمنة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2011م، ص57.
- 6 - نادر كاظم، الهوية والسرد، دار الفراشة، الكويت، الإصدار الثاني، 2016م، ص128.
- 7 - عبد الحميد ختالة جامعة عباس لغرور خنشلة، الثورة هي المنهل الأساسي لكل الآداب الجزائرية، 31 أكتوبر 2022م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 07:14. الرابط:
<https://www.annasronline.com/%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AA%D8%A7%D8%AC/%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA/209414-2022-10-31-22-14-09>
- 8 - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، دط، 2006م، ص192.
- 9 - محمد تحريشي ناقد وأستاذ النقد الأدبي، نصوص روائية مميزة أرخت للثورة ورسمت قيمًا جمالية ومضامين فنية، 31 أكتوبر 2022م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 11:45. الرابط:
<https://www.annasronline.com/%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AA%D8%A7%D8%AC/%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA/209414-2022-10-31-22-14-09>
- 10 - عامر مخلوف، كيف قرأت الرواية الجزائرية الثورة؟ يوم 03 - 11 - 2014م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 13:25. الرابط:
<https://www.djazairiss.com/annasr/74070>
- 11 - الطاهر رواينية ضيف المنتدى الثقافي الجزائري، التاريخي والمتخيل في الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار، 03 فيفري 2021م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 15:00. الرابط:
<https://www.el-massa.com/dz/%D8%A7%D9%84%D8%>
- 12 - ينظر: بشير خلف، رواية الزمن الصعب لعيش عبد القادر، نص الفجعية، والطفولة المجرحة، الحوار المتمدن-العدد: 6802 - 1 / 30 - 12:35. الرابط :
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=707478>
- 13 - عبد القادر عميش، الزمن الصعب (الرواية)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، 2020م، ص38.
- * - القرابي: جمع قربي ثلاثة نقاط فوق القاف، وهو الكوخ، البيت المبني بالديس والطين.
- 14 - عبد القادر عميش، الزمن الصعب (الرواية)، المصدر نفسه ص41.
- 15 - مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011. ص15.
- 16 - عبد القادر عميش، الزمن الصعب (الرواية)، المصدر نفسه ص07.

- 17 - المصدر نفسه، ص 26.
- 18 - المصدر نفسه، ص 30.
- 19 - المصدر نفسه، ص 41.
- 20 - المصدر نفسه، ص 41.
- 21 - المصدر نفسه، ص 147.
- 22 - المصدر نفسه، ص 148.
- 23 - المصدر نفسه، ص 152.

8. قائمة المراجع:

- 1-عدنان عويد، الإيديولوجيا والوعي المطابق، (دراسات فكرية)، التلوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2016م.
- 2-إبراهيم السمري، اتجاهات النقد الأدبي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ- 2011م.
- 3-واسيني الأعرج، الرواية التاريخية، أبحاث ندوة، مجموعة باحثين، دراسات ثقافية سلسلة فصلية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، مطابع دار الشروق، قطر، مارس 2005م.
- 4-عزيز شكري ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
- 5-آمنة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2011م.
- 6-نادر كاظم، الهوية والسرد، دار الفراشة، الكويت، الإصدار الثاني، 2016م.
- 7-عبد الحميد ختالة جامعة عباس لغرور خنشلة، الثورة هي المنهل الأساسي لكل الآداب الجزائرية، 31 أكتوبر 2022م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 07:14. الرابط:

<https://www.annasronline.com/%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AA%D8%A7%D8%AC/%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA/209414-2022-10-31-22-14-09>

8- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، دط، 2006م، ص، 192

9- محمد تحريشي ناقد وأستاذ النقد الأدبي، نصوص روائية مميزة أرخت للثورة ورسمت قيمًا جمالية ومضامين فنية، 31 أكتوبر 2022م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 11:45. الرابط:

<https://www.annasronline.com/%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AA%D8%A7%D8%AC/%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA/209414-2022-10-31-22-14-09>

10- عامر مخلوف، كيف قرأت الرواية الجزائرية الثورة؟ يوم 03 - 11 - 2014م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 13:25.

الرابط: <https://www.djazairress.com/annasr/74070>

11- الطاهر رواينية ضيف المنتدى الثقافي الجزائري، التاريخي والمتخيل في الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار، 03 فيفري 2021م، تاريخ الاطلاع 30-09-2025م، التوقيت 15:00.

الرابط: <https://www.el-massa.com/dz/%D8%A7%D9%84%D8%>

12- بشير خلف، رواية الزمن الصعب لعيش عبد القادر، نص الفجيرة، والطفولة المرحلة، الحوار المتعدن-العدد: [12:35 - 30 / 1 / 2021 - 6802](https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=707478).

الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=707478>

13- عبد القادر عميش، الزمن الصعب (الرواية)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، 2020م.

11- مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.